مقرر الثقافة الإسلامية ١
(١٠١ سلم)

مفهوم الثقافة الإسلامية وخصائصها

١- تعريف الثقافة في اللغة:

ترد كلمة (الثقافة) ومشتقاتها في اللغة العربية على معان عدة يرجع بعضها إلى أمور معنوية كما يرجع بعضها إلى أمور حسية:

فمن المعاني المعنوية : الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، .

يقال: ثَقُفَ الرجل ثَقفاً وثقافة أي صار حاذقاً فطناً، وثَقِفْتَ العلم أو الصناعة في أوهى مدة إذا أسرعت أخذه، .(١)

ومن المعاني الحسية: تقويم المعوج، التسوية وإدراك الشيء والظفر به.

ويتضح لنا من هذه المعاني المتعددة لكلمة "الثقافة" في اللغة العربية أنها تستعمل في الأمور المعنوية، كما أنها تستعمل في الأمور الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات.

٢- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

لم نجد عند علماء العربية والإسلام – في الزمن الماضي – مفهوماً اصطلاحياً للثقافة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في أيامهم، فلم نجدهم ينعتون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مميزة.

وحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لدينا مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافية.

وعلى هذا جاء تعريف "الثقافة" بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً على يد المجمع اللغوي الذي عرفها بأنها: "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها"(٢)

---

(١) أنظر كلا من: أساس البلاغة للزمخشري، و مختار الصحاح للرازي،ولسان العرب لابن منظور، مادة)ثقف)

(٢) د.رجب شهوان وآخرون–دراسات في الثقافة الإسلامية ص٨/مكتبة الفلاح–الكويت ط٢عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٣- تعريف مصطلح الثقافة الإسلامية:

تعددت تعريفات الثقافة الإسلامية والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين

الأول: جدة المصطلح وحداثته.

الثاني: اختلاف تصورات العلماء المعاصرين حول هذا المصطلح

وأقرب تعريف لمصطلح الثقافة الإسلامية هو : "العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها".

ولعل هذا التعريف هو أفضل تلك التعريفات وأقربها إلى الصواب، لاشتماله على موضوعات علم الثقافة الإسلامية الرئيسة، ولأنه تعريف كلي وليس تعريفاً جزئياً.

٤- العلاقة بين الثقافة وغيرها من المعارف:

أ- العلاقة بين الثقافة والعلم

هناك علاقة وطيدة بين الثقافة والعلم، وبينها وبين الحضارة، لذا يحسن بيان هذه العلاقات بين الثقافة وهذه المعارف المختلفة.

أولاً: العلاقة بين الثقافة والعلم:

العلم جملة من المعارف المتنوعة التي يحصل عليها المتعلم، والثقافة كذلك .فتقوم العلاقة بينهما على التشابه والتكامل.

أما من ناحية الاختلاف فتتميز الثقافة بالتنوع والشمول، فمن أخذ شيئًا من كل شيء فقد أصبح مثقفاً، وأما العلم فيتميز بالتخصص، فمن أخذ كل شيء تقريبًا من شيء واحد فقد أصبح عالماً، والثقافة طابعها شخصي تختلف من ثقافة أمة لأخرى فثقافة الوثني والنصراني والهندوسي... إلخ. تختلف عن بعضها البعض، لأن كل ثقافة تستمد عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول. أما العلم فطابعه موضوعي تتحد فيه النتائج، فالماء مثلاً يتكون من ذرات من الأكسوجين بالإضافة إلى ذرات من الهيدروجين (H_2O) وهذا في كل الثقافات.

فيتبين مما تقدم أنّ ميدان الثقافة أوسع من ميدان العلم، وإن كان العلم يخدم الثقافة ويرشدها، فهي لا تستغني عن العلم.

ثانيا: العلاقة بين الثقافة والحضارة:

الحضارة تتناول جملة من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية، أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها، فالثقافة تهتم بالجوانب المعنوية والحضارة ألصق بالماديات، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العملي فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطًا وثيقًا؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وفكرها وأسلوب حياتها،

فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية.

فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة.

٥- هداف دراسة الثقافة الإسلامية:

من أهم أهداف دراسة الثقافة الإسلامية ما يلي:

١- تقديم التصور الصحيح الكامل والشامل للحياة والإنسان والكون من خلال تحديد علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه والآخرين وبالكون أجمع.

٢- إمداد الدارس بحصيلة مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وحضارة بوصفه دينًا عامًّا صالحًا للبشرية في كل زمان ومكان، وهذا يعطيه حصانة ضد تيارات الإلحاد المختلفة.

٣- تنمية روح الولاء للإسلام وتقديمه على ما سواه من صور الانتماءات الأخرى؛ مثل القومية والعرقية أو العنصرية؛ لأنّ الولاية تكون لله ولرسوله ρوللمؤمنين. أي الولاء لما جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنّة نبيه ρ

٤- إبراز النظرة الشمولية للإسلام باعتباره كلاًّ مترابطًا متكاملاً، لا ينفصل فيه أصل أو فرع عن آخر، والتخلص من النظرة الجزئية له التي تقصره على بعض جوانب الحياة، مثل دعوى الالتزام بالفروض الخمسة، وأخذ الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، أو تصور الكون بعيدًا عن العقيدة والشريعة.

٥- تحصين الدارس ضد الغزو الفكري بأساليبه ووسائله المختلفة والذي يهدف إلى تمييع الشخصية الإسلامية، أو إذابتها في الشخصية الغربية.

٦- تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر في مجالات العلوم النظرية والتطبيقية المختلفة، ونقدها من المنظور الإسلامي.

٧- ترجمة الأخلاق والتعاليم الإسلامية إلى واقع عملي وسلوكي ملموس، يعايشه المسلم في حياته العملية اليومية، باعتبار الإسلام نظامًا تطبيقيًّا في الحياة.

٨- بيان خصائص الإسلام وسموه، وإظهار وسطيته وقدرته على تحقيق السعادة في الدارين.

٦- آثار الثقافة الإسلامية:

- أثرت الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوربية في مختلف الميادين، ومنها ميدان العقيدة والدين.

- **وأكد كثير من الباحثين أن لوثر في حركته الإصلاحية كان متأثرا بما قرأه للفلاسفة العرب والعلماء المسلمين.**
- **انتشار الإسلام وثقافته في الشرق الأقصى مع حركة التجار التي كانت إحدى قنوات الاتصال المهمة حيث نقل التجار المسلمون الكثير من مظاهر الثقافة الإسلامية إلى مختلف الشعوب في قارة آسيا وأفريقيا.**
- **كما انتشرت الثقافة عبر حركة الترجمة حيث ترجمت أمهات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأخرى في مختلف ميادين العلم والفلسفة والقرون الوسطى وعصر النهضة.**
- **على الرغم من هذه الآثار إلا أنه يلحظ في دراسة كثير من المستشرقين التهميش والتجهيل والإنكار لمآثر العرب والمسلمين ، ويرجع سبب ذلك إلى تلك الصوة المشوهة عن المسلم وثقافته.**

٧- مصادر الثقافة الإسلامية:

نقسم مصادر الثقافة الإسلامية إلى قسمين:

أولاً :مصادر شرعية أصلية، وهي الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ثانيًا :مصادر فرعية، وهي الإجماع والقياس وغيرهما

أولاً: المصادر الشرعية الأصلية:

المصدر الأول: القرآن الكريم

هو كلام الله الذي أوحى به إلى نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بلفظه ومعناه والذي تعبدنا بتلاوته والعمل به.

وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية؛ لأنه المصدر الأول للإسلام، وهو كليُّ الشريعة وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، نور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره

وقد قال الله تعالى فيه ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].

والقرآن هو: كلام الله المنزل على رسول الله ρالمتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة فيه، المبدوء بسورة بالفاتحة، المنتهي بسورة الناس، والمجموع بين دفتي المصحف الشريف.

وقد بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله ρرمضان وهو في غار حراء، وكان أول ما نزل منه سورة (العلق)، ثم تتابع الوحي على رسول الله ρمدة استغرقت حوالي ثلاث وعشرين عامًا، ينزل فيه القرآن الكريم منجمًا مفرقًا لحكمة جليلة، وهو يعتبر الوثيقة الأهلية الوحيدة المحفوظة من التحريف والتبديل، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والقرآن الكريم هو المصدر الأول والقانون الأساس الذي يرجع إليه المسلمون؛ للتعرف على أحكام الدين في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، فهو بذلك جوهر الثقافة الإسلامية الذي بنى مضمونها ورسم حدودها، وصبغ شخصيتها بلون متميز فريد، وبواسطته تتكون عند المسلم صورة كاملة عن الكون والإنسان والحياة، وتصبح معارف

المسلمين وعلومهم موجهة بوجهته، مما يجعل ثقافتهم بكل سماتها ومظاهرها متميزة عن غيرها من الثقافات.

والقرآن الكريم بصفته كتاب هداية للبشر قد تضمن -فيما اشتمل عليه من أحكام- تنظيم علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقة الإنسان مع غيره، وما تقوم عليه هذه العلاقات من أسس وقواعد تكفل الخير وتحقق العدل للجميع في كل زمان ومكان، فهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية والرافد الذي يغذيها من خلال ما اشتملت آياته عليه من أخبار ومواقف وقصص وأمثال، ودروس وعبر.

من مزايا القرآن:

١- أن الله حفظه من التحريف في القرون السابقة، وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة كما قال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾]الحجر: ٩.[

أما الكتب السابقة فقد أضيف حفظها إلى أصحابها فحرّفوها[2]، قال تعالى : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾]المائدة: ٤٤.[

٢- أنّ القرآن جاء مؤيدًا ومصدقًا لكل الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾]المائدة: ٤٨.[

٣- احتوى القرآن على شريعة عامة للبشر فيها كل ما يسعدهم في الدارين.

٤- جمع القرآن كلّ ما كان متفرقًا من العقائد وأصول العبادات ومكارم الأخلاق في الكتب السابقة.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

في اللغة: الطريقة والسيرة والأسلوب والنهج.

وفي الاصطلاح: هي كل ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة.[4]

والسنة أنواع منها:

السنة القولية: مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ.[5] «

السنة العملية: مثل أفعال وضوئه – صلى الله عليه وسلم – وصلاته وحجّه.

السنة التقريرية: وهي ما أقره عليه الصلاة والسلام مما صدر عن أصحابه من قول أو فعل بسكوته، أو إظهار الرضا عنه واستحسانه.

ومن السنة: ما يتعلق بشمائله، من صفاته وأخلاقه – صلى الله عليه وسلم.–

فالسنة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، والاعتماد عليها أمر ضروري في بناء الثقافة الإسلامية؛ لأن القرآن جاء بالعموميات والكليات تاركًا التفاصيل إلى السنة، فلا يعرف قوله تعالى :﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] إلا بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتَمُونِي أُصَلِّي ،وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء الصلاة بجميع أركانها، وشروطها من فرض وسنّة.

ولا قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. إلا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم[8]«، وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء مناسك الحج الفرضية والسنية.

مكانة السنة مع القرآن تأتي على ثلاثة أحوال:

١- أن تكون موافقة له، فيأتي الحكم في القرآن والسنة معًا، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن الزنا.

٢- أن تكون السنة بيانًا للقرآن وتفسيرًا له، مثل تفسير الزيادة في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، فسَّرها - صلى الله عليه وسلم - بالنظر إلى وجه الله تعالى[9]؛ وتفسيره - صلى الله عليه وسلم - للظلم في قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرها بالشرك.[10]

٣- أن تجيء السنة بزيادة حكم لم يرد في القرآن؛ مثل:

- **إيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها.**
- **تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.**

فالقرآن الكريم والسنة بينهما من التلازم، ما شهدت به كثير من الآيات والأحاديث، قال تعالى :﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾]الحشر: ٧.[

وقال تعالى :﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾]النساء: ٨٠.[

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيْكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُم بِهِ كِتَابَ الله وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي.. .. الحديث.«

ثانيا: المصادر الفرعية للثقافة الإسلامية:

١-الإجماع :

من مصادر علم الثقافة الإسلامية الإجماع، "وهو: اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم حادثة شرعية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم."

والإجماع إذا انعقد في مسألة كان دليلاً شرعياً قطعياً ملزماً لا تجوز مخالفته أو نقضه، قال تعالى: { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا }.

٢-القياس :

القياس من الوَسائِل الَّتِي يستخدمها الفقهاء المسلمون بناء عَلَى نصوص شَرْعِيَّة من أجل الوُصُوْل إلى أحكام فقهية لمسائل مستجدة.

a. والقياس في الُّلغَة: التقدير والمساواة.
b. وَفِي اصطلاح العُلَمَاء: إلحاق مسألة لا نص عَلَى حكمها بمسألة ورد النص بحكمها في الحكم الَّذِي ورد بِهِ النص لتساوي المسألتين في علة الحكم. فَهذا الالحاق يُسمى قياساً.

إذا القياس مصدر مهم من مصادر الأحكام في الشريعة الإسلامية، وهُوَ قادر عَلَى إيجاد أحكام شَرْعِيَّة لحوادث مستجدة، وَكَيْ نفهم القياس أكثر إليكم المثال الآتي: " حكم شرب الخمر التحريم لورود النص بِذَلِكَ، وعلة هَذَا الحكم الإسكار، فكل نبيذ فِيهِ هَذِهِ العلة يَكُون حكمه التحريم أيضاً قياسا عَلَى الخمر."

٣-آراء العُلَمَاء :

تَرَكَ العلماء والأسلاف المسلمون عَلى مَرَّ التاريخ الإسلامي آثاراً كَثِيرَة تشكل رَصِيداً كبيراً للثقافة الإسلامية، وَكَنزاً يُمْكِنُ أن يغرف المسلمون مِنْهُ كيفما شاءوا، وَبَعْض الباحثين يطلقون عَلَيْهِ "تراث الحضارة الإسلامية"، وهوَ: ما وصل إلينا عن سلف الأمة الصالح من إجماع وقياس واجتهاد في الفقه والحديث والتفسير والعقيدة، وما جاء عن اللغويين والنحاة وأهل البلاغة والبيان، وما جمعه المؤرخون من سير وأخبار وما خلفه المسلمون من حضارة وعلوم ومعارف وفنون.

٤-التراث الإسلامي :

وَيُمْكِنُ أيضاً أن يشمل تَعْريف التراث الإسلامي كل ما ورثه المسلمون عن الأسلاف من عُلوم، ومعارف، وأفكار واجتهادات في تشى المجالات المختلفة. والمعنيان قَرِيبان جداً من بعضهما. وتشكل هَذِهِ الثروة منجماً هَائلاً لِلْمُسْلِمينَ يغرفون مِنْهُ ما يفيد حياتهم، وَيَجِدونَ فِيهِ الكَثِير من الإجابات عَلَى أسئلة مستجدة، علماً أن هَذَا التراث الضخم لا

يَعْنِي أن يؤخذ مِنْهُ بِطَرِيقَة الغُرَف دونَ التمحيص، والدراسة، والاجتهاد، فعَلَى العكس من ذلِكَ، فَهُوَ يَحْتاجُ إلى إعمال العقل فِيهِ، وعرضه عَلَى الكتاب والسنة، ودراسة الوَاقِع، ومعطياته، ثمَّ تجهيزه لِيَكُونَ مصدراً نافعاً بإذنِ اللهِ لثقافة المسلمين في عصرهم الحديث.

٥-الخبرات الإنسانية النافعة

في العَالَم الكثير من الثقافات المختلفة، والإسلام ليْسَ ديناً منغلقاً، بَلْ وضع لأتباعه منهجاً جميلاً يَقُوُم عَلَى أخذ ما هُوَ نافع، وترك ما غَيْر ذلِكَ بناء عَلَى عرض أي مستجد عَلَى الكتاب وَصَحِيح السنة النبوية الشريفة .

إذا الجهود الإنسانية النافعة، والخبرات البشرية المفيدة في العلوم والصناعات، والنظم المختلفة تعتبر من مصادر الشريعة الإسلامية، بِشَرْط توافقها مَع الكتاب والسنة كَمَا أسلفنا، وهَذَا بدوره ينعكس عَلَى الثقافة الإسلامية الَّتِي تنهل من الشريعة الإسلامية، وتعدها المصدر الأول لَهَا.

والخبرات الإنسانية قَدْ تَكُون في طَرِيقَة التصرف مَع مَوَاقِف مُعَيَّنَة مستجدة، أو من خِلال منتجات حضارية، أو وسائل لتحسين الْحَياة .

٨- التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية:

واجهت الثقافة الإسلامية تحديات عديدة متنوعة ومن أهمها:

أولاً: الغزو العسكري:

عانت الأمة الإسلامية من هجمات عسكرية ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها منذ القدم ومن ذلك:

حروب المشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه كما في غزوة أحد وغزوة الخندق.

الحروب الصليبية الشرسة (٤٩٠هـ - ٦٩١هـ) التي استهدفت الشام ومصر وأدت إلى انشغال الأمة بها قرنين من الزمان.

والاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرنين الماضيين (١٧٩٨م - ١٩٦٢م) ومحاولته مسخ الثقافة الإسلامية واستنزاف خيرات الأمة.

وهذه التحديات لن تقضي على دين الله تعالى فقد أخبر المولى سبحانه ببقاء دينه وظهوره} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ {]التوبة:٣٣] وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

ثانياً: الغزو الفكري:

وهو غزو غير مسلح غزو للأفكار والعقول، بعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الثقافة الإسلامية، فعمدوا إلى غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين.

١- وسائل الغزو الفكري:

-1الإعلام :استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام, ونظرة سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار

لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا, سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه, وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام, وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاد الإسلام في كل شيء , تمجد الجريمة, وتدعو إلى الفسق والفجور, وتنفر من الحياة المستقيمة الفاضلة, وتتهكم بالمسلمين والمسلمات, وتتخذ الدين هزوًا, وتعرض ما حرَّم الله: الرقص الفاضح, وشرب الخمر, والكذب والدجل, وقد أقامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن.

وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات، وتشكك في العقائد، وتنشر المذاهب الباطلة.

٢- الاستشراق :وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه خاصة الإسلام لأهداف مختلفة[4]، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.

ومن أهم نتاج المستشرقين في القرن العشرين دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات وقد اشترك في تأليفها أكثر من ٤٠٠ مستشرق وبلغت أكثر من ٣٠٠٠ مادة في أكثر من ١٠.٠٠٠ صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (٣٠٠) مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية.[5]

وقد مُلِئَت كتابات المستشرقين بالتعصب الصليبي باعتراف كثير من المستشرقين، يقول برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث

العلمية.[6]

إن كثيراً من المستشرقين كانوا أداة للاستعمار، حيث تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول مراد هوفمان، سفير ألمانيا في المغرب – وقد هداه الله للإسلام –: "والحق أن معظم المستشرقين عن وعي أو غير وعي كانوا أداة لخدمة الاستعمار، وإن كان بعض أولئك كانوا جواسيس للغرب بالفعل، وتتعاون المخابرات الغربية لاسيما الأمريكية مع مراكز الدراسات الاستشراقية, لاسيما فيما يتعلق بالحركات الإسلامية.

٣- التنصير : وهو محاولة إبعاد المسلمين عن الإسلام وإدخالهم في النصرانية فعلى الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية, وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم, إلا أنهم حريصون على تنصير المسلمين، وبناء الكنائس في ديارنا.
وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات, وأرسلوا البعثات التنصيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله، وعلى الرغم من الصعاب التي تقف في طريقهم، إلا أنهم ماضون في هذا الطريق، وهم يصطادون المسلمين الجهلة, وينشبون أنيابهم في فقراء المسلمين؛ حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم، بينما نجد العكس فيمن يسلم من الغربيين، حيث يسلم المتعلمون والمفكرون.

وأهم وسائل التنصير :التعليم والصحة والإعلام واستغلال الكوارث والحروب والفقر.

٤- تشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وذلك بإقصاء الإسلام من شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.
أو فصل الدين عن الحياة وعن شؤون المجتمعات
٥- محاربة الدعوة الإسلامية وذلك لأن الدعوة الإسلامية الصحيحة هي التي تعصم

المجتمعات الإسلامية من الانحرافات والفتن.

٦- التغريب والعولمة الثقافية :وهي باختصار فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.

وإن كان للعولمة – بشكل عام – وجوه مفيدة في التقنية والاتصال، والتعارف والمعلومات؛ فإن لها جوانب خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض القيم الغربية وتغريب المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب على الرغم من عدم الاقتناع الواسع بها قيماً، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب.

٩- آثار التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية:

١- تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

٢-تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية.

٣-الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه في كثير من بلاد الإسلام وانتشار البدع والخرافات والمذاهب الباطلة كالقاديانية والبهائية وانتشار الأفكار العلمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

٤-الهزيمة النفسية لدى بعض المسلمين واهتزاز الثوابت لديهم ونشوء طبقة من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافاته.

٥-إضعاف اللغة العربية وانتشار اللهجات المحلية التي اختارها الله لكتابه كما قال تعالى}:إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً] {يوسف:٢.[

٦-إقصاء شريعة الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وهذا الأثر بذل الكفار في سبيل تحقيقه الكثير من الجهد والمال والفكر, وقد أقنعوا به كثيرًا من الحكام في الديار الإسلامية.

٧-إفساد التعليم وإضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط.

٨-إفساد المرأة: لقد حرص الكفار على هذا, لأن فسادها يفسد الأبناء والأزواج, فأخرجوها من بيتها, وهتكوا حجابها, وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب, وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا

١٠ - سبل مواجهة التحديات الثقافية:

١- تعزيز الهوية بأقوى سلاح , وهو العودة إلى الإسلام . قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

٢- العناية بثقافتنا الإسلامية وباللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم .

٣- إبراز خصائص الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم .

٤- العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً وسياسيا و عسكرياً واقتصادياً وتقنيناً . قال تعالى: (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)

٥- مواجهة التحديات بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين .

٦- تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بكتاب الله. .

٨- أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها .

٩- أن يقوم التعليم بتعزيز الهوية وكشف سلبيات العولمة والتغريب .

١٠ - تنشيط التفاعل والحوار الثقافي والإسلامي مع ثقافات الأمم الأخرى .

١١- تشجيع المؤسسات الخيرية والدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها .

١١ - موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى:

تتقاسم العالم ثقافات مختلفة، تمتد كل منها في مناطق كبيرة من العالم، وقد سيطرت الثقافة الغربية في هذا العصر على بقية الثقافات، نظرًا لأنها مدعومة عسكريًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، لذا سيكون التركيز في بيان الموقف منها بسبب ذلك، وهناك عدة اتجاهات في الموقف منها، وهي:

١- الاتجاه السلبي :يرى أتباعه عدم الأخذ أو الاتصال بأي من الثقافة والحضارة الغربية، وعدم الاستفادة من كل ما انبثق عنها من منافع في مختلف المجالات، يرفضون الثقافة الغربية، لأنهم ينظرون لسلبياتها وما تحمله من أمراض لذا جاء الرفض لها ككل

وهذا الموقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الإفادة من كل شيء لا يصادم أصول الإسلام؛ لأنّ الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

٢- الاتجاه التغريبي : يدعو أصحابه إلى الأخذ بكل أسباب الثقافة والحضارة الغربية، مقبلا على كل معطياتها خيرها، وشرها، من علم، وصناعة، وثقافة، وحتى أسلوب الحياة؛ لأنهم يرون أنّ الثقافة كلٌّ لا يتجزأ، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها. ويكثر هذا الاتجاه لدى العلمانيين أمثال طه حسين وغيره والحداثيين.

٣- الاتجاه التوفيقي :يرى أتباعه التوفيق بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وفي حال حدوث تعارض، يرون أنّه لابد من تقريب بعض مبادئ الإسلام التي تتعارض مع حضارة الغرب وثقافته، وتطوير تلك المبادئ حتى تواكب حضارة الغرب.
مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية، والبحث عن الأدلة المؤيدة لذلك من أقوال العلماء والمفكرين المسلمين بحجة أنّ مصالح المسلمين تتطلب هذا التطوير، وفي هذا مسخ للإسلام وتشريعاته، وتشويش على المسلمين مع تفريق وحدتهم.

٤-الاتجاه المعتدل :يرى أتباعه أن يحتفظ المسلمون بإسلامهم وثقافتهم المتمثلة في الكتاب والسنة، مع الوقوف عند حدود الفكر الإسلامي الأصيل، مع الإفادة من خير ما أفادت منه المدنية الغربية في شتى المجالات من العلوم التجريبية، فيرون أخذ المناسب من الحضارة الغربية، وترك ما لا يناسب منها؛ لأنّ الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض ثقافته.

وهذا الاتجاه الأخير هو الاتجاه الصحيح الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية مع الاستفادة من المفيد فيها.

هذه المواقف الأربعة بتوجهاتها المختلفة، أثّرت في المجتمع الإسلامي بصورة لا يمكن تجاهلها؛ لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، وتصدُّعات اجتماعية، وصراعات داخلية، أنهكت الأمة، ومزقت شملها، وأحدثت الفرقة بين صفوفها، مما ساعد كثيرًا على تغلغل الفكر والثقافة الغربية بطريقة قوّت حدة التناقض في الحياة العمليّة والمعنوية، نتيجة للتناقض الحاد بين المواقف والأفكار المحيطة بالفرد المسلم، الذي وقع أسيرًا لها، والوهن العقدي، والفوضى الفكرية، والتخبط السلوكي.

١٢ الحوار بين الحضارات:

أولاً: الإسلام دين الحوار:

الحوار منهج قرآني ، فقد كلم الله ملائكته واستمع منهم ، وكذلك رسله ، وحتى مع إبليس ، والقرآن مليء بمحاورات الرسل مع أقوامهم .

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير .

ثانيًا: أهم أهداف الحوار في الإسلام :

١- الدعوة إلى الإسلام, وعبادة الله وحده لا شريك له.
٢-إبراز محاسن الإسلام والرد على شبهات أعدائه.
٣-تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض وهي الخلافة وعمارة الأرض .
٤-تبادل العلوم النافعة ، والتعاون على الخير .

ثالثا: أهداف باطلة للحوار:

١- موالاة الكفار ومودتهم من دون المؤمنين، فقد جاءت النصوص القطعية في النهي عن ذلك، قال الله تبارك وتعالى :﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾]آل عمران: ٢٨.[
٢- التنازل عن شيء من ثوابتنا العقدية أو الشرعية.
٣-المشاركة في الدعوات المغرضة لوحدة الأديان التي تساوي الإسلام بغيره وخلط الحق بالباطل.
٤- مشاركة الكفار في باطلهم، وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال سبحانه :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ *لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ *وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ *وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

رابعا: آداب الحوار:

من أهم آداب الحوار:

١-حسن القصد من الحوار :وذلك بالإخلاص لله والرغبة في طلب الحق، قال تعالى :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.[البينة: ٥]

٢-العلم :فلا حوار بلا علم، والمُحَاوِرُ الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله سبحانه وتعالى المجادل بغير علم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]. فالمُحَاوِر المسلم داع إلى الله يجب أن تكون دعوته بعلم وبصيرة كما قال سبحانه :﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾]يوسف: ١٠٨.[

٣-التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام :حيث أن أهم ما يتوجه إليه المُحَاوِر التزام الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل :﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾]الإسراء: ٥٣[، ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾]النحل: ١٢٥.[10] [وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٤- التواضع واللين والرفق من المُحَاوِر وحسن الاستماع وعدم المقاطعة والعناية بما يقوله المُحَاور :فهو أدعى للوصول إلى الحقيقة واستمرار الحوار، وهذا ما علمناه القرآن، فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية والربوبية، فقال سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤.]

٥- الحلم والصبر :فالمُحَاور يجب أن يكون حليماً صبوراً، فلا يغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين قال تعالى :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعندما قال رجل للنبي – صلى الله عليه وسلم – أوصني، قال» : لا تغضب[11] « وكررها مراراً.

٦- العدل والإنصاف؛ يجب على المحاور أن يكون منصفاً فلا يرد حقاً، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها محاوره وهذا الإنصاف له أثره العظيم لقبول الحق، كما تضفي على المحاور روح الموضوعية.

والتعصب وعدم قبول الحق من الصفات الذميمة في كتاب الله فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾]المائدة: ٨[،